VI- أسباب وعوامل اضطرابات السلوك الاجتماعي

سوف نعرض فيما يلي مجموعة من اسباب الاضطرابات السلوكية والعوامل المساهمة فيها بطريقة مختصرة بعض الشيء ، إلا أننا لاحقا سوف نقدم الأسباب الخاصة بكل اضطراب يتم عرضه على حدى ، وجاءت تلك الأسباب والعوامل متنوعة بين ما هو عضوي وما هو بيئي ، نفسي ، أسري ومدرسي وحتى وسائل الإعلام والدور الذي تمارسه في التأثير على سلوك وأفكار الطفل.

1- الأسباب والعوامل العضوية

يقصد بالتكوين العضوي مجموعة الخصائص الجسدية أو البدنية البارزة لدى الفرد والتي تميزه منذ ولادته ، فإذا ما اتصف هذا التكوين بالنقص و تميز بمجموعة من العاهات والأمراض المزمنة أو حتى القابلة للشفاء ، فقد تؤدي تلك العاهات و الاضطرابات الجسمية إلى اضطرابات سلوكية.

وعليه يتأثر السلوك بالعوامل الجينية و العصبية و كذلك البيوكيمائية أو بتلك العوامل مجتمعة ، فإن العوامل الوراثية تحدد الاستعدادات لدى الفرد للإصابة ببعض الأمراض النفسية أو الاضطرابات السلوكية الانفعالية (فاروق، 2011، ص 52).

كما أن تعرض الأم في المرحلة الجنينية لحوادث جسدية ومرضية اثناء مرحلة الحمل أو تناولها إلى أدوية وعقاقير غير مناسبة في هذه الفترة ، و كذا الأمراض التي تعاني منها إضافة إلى سوء التغذية وغيرها من المشاكل الصحية للمرأة الحامل اثر بالغ في السلامة الجسدية والنفسية للجنين.

إضافة إلى أن وجود بعض اضطرابات في الدماغ كتلف في المخ أو إصابته بالالتهابات قد يكون أحد أسباب اضطرابات الانتباه مثلا .

2- الأسباب والعوامل النفسية

هنا الأسباب النفسية تكون متعددة بين ما يتعرض له الطفل من حرمان مبكر سواء حرمانه من الأم أو الأب وكلاهما – أطفال مراكز الرعاية المسعفة – و يترك ذلك أثرا كبيرا على نفسية الطفل مخلفا ورائه اضطرابات عميقة قد تكون سلوكية وانفعالية و قد تصل لحد الاضطرابات العقلية ، لما تلعبه الإحباطات التي يعيشها الطفل دورا في سوء توافقه النفسي والاجتماعي ، كما أن الحرمان يفقد الطفل حاجاته الأساسية ، حاجاته للحب وأيضا الحاجات الفسيولوجية.

وفي نفس السياق نجد الصدمات النفسية التي يتعرض لها الطفل أو المراهق في حياته ، من حوادث خطيرة أو فقدان مفاجئ للأحد أفراد أسرته كموت أو الخبرات و الصدمات الجنسية كتعرضهم للتحرش الجنسي أو الاغتصاب ، وكلها عوامل وأسباب تجعل الطفل أو المراهق يعيش القلق الدائم ، العزلة الاجتماعية أو أن يتصرف بطريقة عدائية ضد محيطه.

وأحيانا ميلاد أخ جديد أو تغيير مكان الإقامة والانتقال إلى منزل جديد ، كذلك ربما تفكك الأسرة من طلاق أو انفصال أحد الوالدين بسبب العمل أو المرض ، عوامل من شأنها أن تعرقل تكيفه مع البيئة.

ايضا المراهقة كمرحلة تتميز بمجموعة من التغييرات : تحولات جسمية من جهة و ظهور الصفات الجنسية الأولية و الثانوية من جهة أخرى ، ويظهرا هذا النمط من النمو مصاحب معه بعض المشاكل النفسية المرتبطة بمدى تقبل المراهق الصورة الجسمية الجديدة (Godefroid , 2012 , p738).

يرافق هذا الأخير من تأثيرات بالغة الأهمية على سلوك المراهق ، خاصة وهو في مرحلة بلورة الملامح النهائية للشخصية و هذا حسب ما جاءت به نظرية التحليل النفسي عامة و الفريدون القدماء خاصة ، و يضيف **إريكسون Erikson** في هذا الصدد ، أن المراهقة هي مرحلة البحث عن الهوية و تشكيلها و هي مرحلة تطور الشخصية ، و ديناميكية الأزمة التي يشهدها المراهق في هذه المرحلة تنحصر بين تحقيق الهوية و اضطراب الدور الاجتماعي ، وهنا يظهر تساؤل المراهق من أكون ؟ _(Hansenme , 2003 , p 136)

كما أن اصابة الطفل ببعض الأمراض والعاهات الجسدية قد تجعله يشعر النقص أو أنه ليس كباقي أقرانه مما يولد له مشاعر العجز فيبحث عن تعويض سلبي لنقصه ما يجعل سلوكاته تتسم بشيء من العدوان.

3- الأسباب والعوامل الأسرية

ان العامل الحاسم في التربية الأسرية هو أولا إحساس الأبناء بمدى عمق و اقتناع الأهل فكرا وسلوكا بالقيم التي ينادون بها ، مما يجعلهم قدوة حسنة فعلا في نظر أبنائهم فعند ذلك يحصل التمثل ، وثانيا اقتناع الأبناء بصحة و صواب هذه المبادئ.

ولهذا توقفنا هنا عند أول محطة في عملية التنشئة الاجتماعية ألا وهي الأسرة تلك الهيكل الاجتماعي الت تتميز بطابع ثقافي مميز يختلف من مجتمع إلى أخر ، يعمل هذا النظام الثقافي السائد في الأسرة على طبع وتلقين الفرد منذ نعومة أظافره السلوك الاجتماعي المقبول ويتعلم داخلها طبيعة التفاعل مع الأفراد والعادات و التقاليد و بقية النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع (أبو مصلح، 2006، ص17).

وتلعب الأسرة (الوالدين) دور في اضطراب الطفل سلوكيا من خلال الأساليب التربوية التي تتبعها، وفيما يخص تلك الأساليب الخاطئة والتي قد تكون مصدرا للاضطراب نذكر : أسلوب الحماية الزائد والتدليل ، أسلوب تلقين القلق الدائم والشعور بالذنب ، أسلوب اللامبالاة و الإهمال ، أسلوب القسوة ، أسلوب التذبذب في المعاملة ، أسلوب التمييز والتفرقة في المعاملة بين الأبناء.

فغياب النموذج والقدوة الحسنة أو أن احد الوالدين أو كلاهما منحرفين قد يؤدي بطفل إلى تعلم نماذج سلوكية مضطربة ، فعلى سبيل المثال قد تؤدي الحماية الزائد للطفل إلى عزلته و انسحابه واضطراب علاقاته الاجتماعية ، أما الأسرة التي تقدم نماذج العنف و تستخدم الضرب و الصراخ مثلا في تربية وعقاب أبنائها ، قد تعطينا طفلا عدوانيا ، كما أن

الأساليب التربوية الوالدية التي تتصف بالتميز والتفرقة بين الإخوة يمكن أن تنتج أطفال لا يثقون بذواتهم ويعتقدون دائما أنهم اقل من غيرهم وأنهم غير جديرين على تأدية مهام بمفردهم ، وهو ما قد يولد الشعور بالغيرة.

4- الأسباب والعوامل المدرسية

المدرسة ذلك المكان الموازي للمنزل والذي من المفروض أن يكون ثاني مكان أمن للطفل بعد بيته ، و مع هذا وللأسف قد تعد المدرسة أحيانا هي الأخرى بيئة خصبة للاضطرابات السلوكية سواء في مرحلة الطفولة المتأخرة أو مرحلة المراهقة ، من خلال بعض الممارسات التي تحدث فيها سواء من الأستاذ و المناخ المدرسي وصولا إلى جماعة الرفاق.

فعقاب الطفل بطرق غير علمية أو مقارنته بباقي التلاميذ وعدم مراعاة الفروق الفردية ، أو طلب بعض الأدوات المدرسية المكلفة دون مراعاة دخل الأسرة ، أو سخرية المعلم من التلميذ أو حتى تنمر الذي يحدث بين التلاميذ ، وكذلك المناهج الدراسية وطرق التدريس التي قد لا تناسب ولا تراعي شروط و معايير محدد ، كلها أسباب و عوامل من شأنها أن تؤدي إلى بعض الاضطرابات السلوكية ولعل أشهرها في هذا الميدان المدرسي السلوك الفوضوي داخل الصف.

ولا يقل دور جماعة الرفاق عن الدور الذي تلعبه باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمدرسة) بل ربما يصبح تأثيرها أكثر من تأثير الأسرة والمدرسة نظرا لتجانس الذي يجده المراهق وسط الجماعة الاختيارية ، بعيدا عن تلك التي وجدها في الأسرة و المدرسة ، ومن جهة أخرى لا ننسى أن الحاجة إلى الانتماء هي إحدى المتطلبات الاجتماعية في مرحلة المراهقة ، فعن طريق تلك الجماعة يكتسب المراهق خبرات جديدة ويجرب أدوار اجتماعية غير تلك التي ألفها سابقا ، فهي تتيح له إمكانية اختبار أشياء جديد والحكم عليها بمفرده ، ولكن مثلما تقدم جماعة الرفاق خدمات ايجابية، فلها تأثير تمتد خطورته للانحراف المراهق واضطراباته.

5- وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام مجموعة السلبيات التي لها أثار شديدة وتزداد هذه في حالة الطفل والمراهق ، وتتمثل تلك السلبيات في : نقل أخلاق ونمط حياة البيئات الأخرى إلى مجتمعنا ، ونقل قيم غربية تؤدي إلى التصادم بين القديم و الحديث ، وخلخلة نسق القيم ، مشاهدة العنف الشائع في أفلام قد يثير العنف في سلوك ، وتكرار المشاهدة تؤدي إلى تبلد الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة استجابة لمواجهة بعض مواقف الصراعات ، الخمول الكسل ، ومن سلبيات أيضا إثارة الفزع والشعور بالخوف (بدير والخزرجي، 2007، ص 77 – 78).

إذن نتفق هنا أن وسائل الإعلام تساهم بشكل كبير في تكوين ثقافة الطفل والمراهق ومعرفته ، خاصة في ظل انتشارها وسهولة الحصول عليها في الآونة الأخيرة ، ولهذا التكوين شقين : الأول إيجابي وهذا إذا كان مضمون ما تقدمه تلك الوسائل من مواد إعلامية ايجابية وبناءة ، والشق الثاني يتمثل في تكوين سلبي إذا كان ما ثبته تلك الوسائل من مواد إعلامية غير مناسبة لبناء شخصية الطفل المراهق خاصة وأنه في فترة يتأثر فيها أكثر مما ما يؤثر ، فيقلد ما يراها

من مادة إعلامية كعدوان و العنف ، وأكثر من ذلك فقد نجده مدمن على مختلف وسائل الاتصال بالانترنت وكذا مختلف مواقع التواصل الاجتماعي ، مما قد يبعده عن التفاعل الحقيقي ويفقد علاقاته الاجتماعية ومشاركاته العائلية نتيجة الانغماس المفرط للانترنت ، ما يجعله منعزل بعيد عن الحياة الاجتماعية الحقيقة والاحتكاك المحدود مع البيئة لصالح واقع و بيئة افتراضية.

وفي الأخير إن مختلف تلك العوامل والأسباب التي تم عرضها في المجالات الأربعة (العضوية ، النفسية ، الأسرية ، المدرسية) ليست حتمية مطلقة ، أو أنها قد يؤدي بضرورة إلى اضطراب سلوك الطفل ، كما أنه لا يمكن جزم أن هذا السبب أو ذلك قدي يؤدي بضرورة إلى ذلك النوع من الاضطراب.